ثقافة التنمية وتنمية الثقافة

عبد الحسين شعبان
بيروت

في إطار مهرجان "القرين" الثقافي السنوي في دولة الكويت، إلتأمت ندوة مهمة نظّمها "المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب" بعنوان " اقتصاديات الثقافة العربية ودور الكويت في تنمية المعرفة". والحقيقة أن العنوان يحمل تفاصيل عديدة ومتفرّعات كثيرة، يتداخل فيها دور القطاع العام والخاص في "تنمية الثقافة" وفي "ثقافة التنمية"، كما يندرج تحت العنوان ذاته دور الهيئات الثقافية الرسمية وشبه الرسمية في نشر الثقافة من جهة وفي تعزيز اقتصاديات الثقافة من جهة أخرى، بما فيها الثقافة الاليكترونية (النشر الرقمي)، خصوصاً وأن السؤال يتعلق بالمستقبل، فهل الثقافة سلعة أم خدمة مساعدة ترفد التنمية؟

وإذا كانت اقتصاديات الثقافة في العالم وصلت إلى آفاق رحبة وحققت نجاحات باهرة على هذا الصعيد، فإنها في العالم العربي ما تزال في بداية الطريق، ويكفي أن نشير إلى أن نسبة الانفاق في البلدان العربية لا تزيد عن 3بالألف من الدخول القومية، بل إن بعض البلدان أقل من ذلك بكثير على الرغم من أن الدساتير العربية جميعها تقريباً تشير، وبدرجات متفاوتة ومختلفة، إلى مسؤولية الحكومة في رعاية الثقافة، باعتبارها "حقاً" لكل مواطن تكفله الدولة وتلتزم بدعمه.

قوى فاعلة

ولعلّ هذا الأمر يستوجب إجراء مراجعة مسؤولة من جانب الحكومات والقوى الفاعلة في المجتمع حول قيمة الثقافة كحاجة روحية للإنسان، وخصوصاً حين تقترن بالمعرفة، انتاجاً ونقلاً وتلقياً، مثلما تمثّل مورداً أساسياً للدخل يمكنه أن يعود بمردود مادّي ومعنوي على الدولة والمجتمع والفرد بما يتفاعل مع عملية التنمية.

وإذا كان على الدولة أن تلعب دوراً محورياً في التنمية الثقافية، بتخصيص الموارد والبيئة الحاضنة لتفجير طاقات المجتمع والفرد، فلا بدّ لها من التعاون مع مؤسسات المجتمع المدني ومع قطاع أصحاب الأعمال، ومهما يكن دور المؤسسات الثقافية في التعبير عن الواقع المعيش وحياة الناس، لكن مسؤولية الدولة تبقى أساسية، سواء في سن القوانين وتشريع الأنظمة أم في ضمان كفالة الثقافة وحمايتها لتحقيق السلام المجتمعي باعتبارها جزءاً حيوياً ومهماً من التنمية.

وقد أصبحت الثقافة مجالاً واسعاً وكبيراً للاستثمار حيث توجد بلدان تقوم اقتصادياتها على الثقافة بجميع جوانبها، ابتداء من موروثها الثقافي إلى الحقول العلمية والتقنية ووصولاً إلى الذكاء الاصطناعي " الروبوتات"، ويتعلق الأمر بتنمية المعرفة كجزء من الثقافة بما فيها الخيال الذي هو حسب عالم الفيزياء الشهير آلبرت آينشتاين " أهم من المعرفة " حيث ينضوي تحت لوائه : الإبداع والابتكار والتميّز والتجديد.

والثقافة بهذا المعنى هي أحد الأسلحة الناعمة والمؤثرة في عملية التنمية بمفهومها الإنساني الشامل والمستدام، ولا نقصد بذلك "النمو الاقتصادي " فحسب، بل "توسيع خيارات الناس" في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والقانونية والتربوية والصحية والبيئية والنفسية، لإحداث التطوّر والتغيير المطلوبين. ومن الصعب تصوّر تحقيق التنمية المستدامة دون ثقافة، الأمر الذي يقتضي الربط بين التنمية والثقافة، لأن أحدهما يكمّل الآخر، بل هما وجهان لعملة واحدة، وهناك علاقة جدلية ومصيرية ووجودية بين الثقافة وأي مشروع تنموي.

احساس المجتمع

وإذا كانت الثقافة هي نتاج لكل الناس، لذلك ينبغي أن يكون استهلاكها لكل الناس أيضاً، لأنها لم تعد محصورة بالنخبة فحسب، والإبداع هو كل ما يشمل التعبير عن إحساس المجتمع بالجمال والحرّية والهويّة الإنسانية، وهذا جزء من الاقتصاد، فالسينما والمسرح والفنون والآداب والسياحة، بما فيها السياحة الدينية والآثارية ، تمثل استثمارات اقتصادية كبيرة للجميع بما توظّفه من خدمات ونقل وأماكن إقامة وغيرها من الفرص الكبيرة لخلق وظائف لآلاف الناس.

واستناداً إلى ذلك فالثقافة ليست مجرد هامش تعبير، بقدر ما هي مكوّن أساسي من مكوّنات التنمية، ولكنها اختُزلت في ظل الآيديولوجيات الشمولية ليقتصر دورها على الإرشاد والتوجيه والدعاية، وحتى اليوم فالتعامل معها يُنظر إليه من باب الإلحاق والتبعية ، بل إن الصراعات السياسية المحمومة على تولّي المناصب "السيادية"، لا تضع الثقافة في صلب اهتماماتها، حيث دائماً ما يُنظر إليها نظرة استصغارية.

أما أهم الكوابح التي واجهت الثقافة والمثقف على المستوى العربي فهي: شحّ الحريات والثيوقراطيات الدينية والانقسامات والصراعات الطائفية، إضافة إلى العادات والتقاليد البالية، وقلّة التخصيصات المالية من جانب الحكومات، فضلاً عن تحكّم رأس المال بالتوجهات الثقافية، يضاف إلى ذلك محاولات فرض استتباع خارجي لتعميم نمط الثقافة السائدة ذات المضمون المعولم، لاسيّما بتسليع الثقافة، دون أن ننسى ما للتعصّب والعنف والإرهاب من تأثيرات سلبية على الثقافة والتنمية في السنوات الأخيرة، وهو الأمر الذي تدارسته "ندوة القرين" التي ضمّت نخباً فكرية وثقافية عربية متنوّعة وحثّتهم على تبنّي الدعوة لبناء مشروع ثقافي عربي لمواجهة التحدّيات والاختراقات التي تواجهها الأمة العربية، مشفوعةً بالدعوة لتأسيس مجلس أعلى للثقافة العربية يجمع بين الجهات الحكومية والمفكرين والمثقفين العرب وممثلين عن القطاعين الخاص والعام لإطلاق مبادرات ثقافية جامعة تكون جهة تواصل وتفاعل بين الجهات المختلفة المعنية بتنمية الثقافة وبثقافة التنمية.

□ باحث ومفكر عربي

ما يضيئه الظلام ويطفئه الضوء لحمدان طاهر المالكي

شعرية تجاذب الأضداد

احمد الشيخاوي
المغرب

إنّ الخلفية العامة التي تسبح في خضمّها أجدد مجاميع الشاعر العراقي حمدان طاهر المالكي، نظام نور/ظلام بما الإشكالية صراع وجود تحاول عبره ومن خلاله ذات المبدع رسم صيرورة مشرعة على تحديات جمّة في المراوحة ما بين بعدين إنسانين ينزعان صوب أدلجة أو أسطرة بؤر الإثارة في اليومي القابل لصياغات تضمن له الخلود والرسوخ في سجلّ الكونية.

دفع بالتجربة صوب الأفضل على أنقاض تفاصيل حياتية منهكة ومستميتة إزاء زحف البهيمية الآدمية وما تسعى إليه من خراب آخذ في التفاقم على نحو هستيري طامس للهوية الإنسانية ومهدد للوجود إجمالا.

فخاخ الكمون

ما بين نقطة مطفأة وأخرى تشعّ نورا ،تنسج قصائد حمدان خطوها عاملة على تثوير واستفزاز فخاخ الكمون فينا، تبعا لتراتيل الصوت الخفي المدغدغ،المانح لذة القشعريرة بل الرعشة حتى يكون التوصيف ألطف، والسخي بتجليات الولادة الثانية داخل تخوم أبشع صور الدّمار والموت.

إذ الكتابة، لا يمكنها أن تحمل رياح التغيير، دونما توقيع برامج القصدية القادرة على الهدم والفوضوية بغرض البعث والبناء وإعادة الترتيب، إنها ثقافة فوقية لا تستلهم إلاّ من رؤى عمالقة الأدب في مقاربتهم السير ذاتية للواقع والحياة، ولا تُستنبت إلاّ من معالجاتهم العميقة المشدودة إلى إنسانية الكائن وقيمة عناصر الطبيعة والأشياء كنواة للخيرية والتوازن والارتقاء.

ثقافة قلب المعايير المجتمعية البالية والقشيبة هذه، هي التي بمقدورها تغطية العراء الممتد ما بين الروح ومراياها من جهة ، والذات في طقوسيات اغتنامها لفرص تدارك ما قد تتجاوزنا به العالمية في تسارع رحاها الطاحنة والمتقمّصة على الدوام، لمكامن عجزنا وعوزنا وافتقارنا إلى الكمال والطاقة المثالية كبشر.

[أنا قديم جدًا
لا أعرف متى بدأت،
سمعت حواء
تقول لآدم
كُلْ يا رفيقي
لننعم بالخلود.].

الذاتية في انخطافها الصوري

لا يقيم شاعرنا في الصورة طويلا، حدّ الرتابة والملل، إذا سرعان ما تنزلق سيرته وخفت صوته الوامض ،وتنقشع أنويته، انسحابا أنيقا ودمثا من الصورة الثرية بحمولات حياتية وإن لم تبرح مربض الحكي النرجسي المثقل بتفاصيل التجربة الشخصية ، يصدق عليها القول بأنها لامّة ومستنفرة لحياتية مشتركة ووجع وجودي. بحيث لا تفضل سوى البياضات المترعة بامتدادات وعري الذات. وهي مقامرة حاصلة في نصوص من الوفرة بمكان، على سبيل المثال لا الحصر، صعود،الشذرة التي تربطنا بجذر قضيتنا الوجودية ،وتنقر قلوبنا بغواية الأصل ،نجن كفصية ما تفتأ تنشدّ إلى مشهدية القداسة، ننحني طواعية ونسلّم بالفطرة والناموس الأزلي: رباط الكمال والمثالية بين النوعين وكيفة خلخلة الذاكرة ، وفق عرض بطيء يبثّ أبرز محطات ذلكم الانزلاق الطفيف والمتواطئ مع إمكانية أو تأهيلنا المسبق واستعدادنا الفزيولوجي لتقبل بضع هفوات ،كما تنقشها تاريخانية إيقاظ جوانب الضعف فينا تمكينا لوقوعنا في الخطيئة، إنه ضلوع الفاكهة المحرمة هاهنا، بما المناخ في النهاية لبوس من رمزية فاضحة لعجزنا الوجودي.

وأيضا نص " دفعت حياتي بعيدا" والذي يصور لنا موتا من طراز آخر، من حيث هيمنته وانقلابه إلى عدوى دوارة كأنها تضع آخر ملامح انقراض النسل.

وفي قصيدة " ركضت طويلا" بحيث نعيش جنائزية اللحظة الشاهدة على تسرّب يد الرّدى إلى الظلال البشرية الهاربة والأحلام حتّى.

ذاكرة الرموز

تفرض سياقات إقحام الرموز في منجز شاعرنا،غائيتها وعلو كعبها الجمالي، كونها تأتي متلاقحة ومتداخلة وبلا حواشي أو ضفاف بحيث تذوب بينها علامات الديني والايديلوجي والوجداني حتى، كي تستقرّ داخل الفلك الإنساني وتسري في شرايينه مقصية جدلية الذات والزمن ،ومترنّمة بسرمدية الصلاحية والدمغات العابرة لاشتراطات الآني في تخطّيه إلى الوجودي واللانهائي واللامحدود.

وبخاصة على حزام جرد أخطاء راهننا الملغوم بشهوة الفتك وعبثية ومجانية الموت.

خطوط سير ذاتية مسعفة في دندنة مأساة وفجيعة القرن، لا تتلاقى إلاّ لتحدث زلزالا يوم تنويمنا قدر المستطاع وملء أعين كشف عورها مدى تجاهلنا لتدفق الأحداث التي ليست في صالح لا الإنسان ولا العالم.هو خدر ترغبه منّا قصيدة حمدان، تعقبه يقظة واعية، مثلما يمليها قلب مفتوح وبصيرة عادلة، علينا ألاّ نتغابى أو نتقاعس في الاتكاء على جوهريتها ونحن نحلم بتباشير فجر نعاود فيه لملمة إنسانيتنا وترتيب هويتنا المتناثرة أشلاء.

فلنتملّى كأنضح ما تكون الذات بكأس المرارة في واقع البهيمية والاضطراب.. إإلى هذا الحدّ أضحى القتل ديدنا مقبولا؟ لا يخيف ولا يرعب، مرحّبا به في كل بيت .

هي حمّى الفجيعة ما تلبث تلبس كامل الجسد العربي المتغنّي بقشور اللحظي وفقاعات وزبد الغيرية.

سياحة إبداعية لا تناغي أدهاننا إلاّ بالاحتكاك مع تمظهرات الموت الأسطوري الذي تشتعل به صفحات جيل ممزّق الهوية ، ومبرقع بندوب غدر الزمان.

والحمولات الدلالية المتدلية بهكذا قطوف نابض بلب ما أسلفت كثير وطؤها ووقعها على نفسية المتلقي ،وهو يغوص في خبء الأضمومة الوارفة بتهويماتها ومراوغاتها المسايرة لشعرية تجاذب الأضداد والاغراق بالمفارقات الصارخة الوقف على المختزل في نظام نور/ ظلام تماما مثل الوارد في الأسطر المتضمذنة لما فذلكنا له، ومن قبيل ما نستحضر ها هنا جملة من قصائد مهداة إلى أسماء ومعادن أثّرت في شاعرنا وغذت مخياله، فمال إلى الاحتفاء بها تبعا لخطاب إستطيقي مائز،يصون الذاكرة خارج حدود الزمن الذي ليس يعترف أو يغترف من عدا النبع الإنساني الشافي والوافي على مرّ تعاقب وتواتر الأجيال .

مثل " أنا ريشة" الرامية بحظوظ النرد العبوس في مصائب وخطوب الحياة، شعرية ترتبط بكلمة الحظ التي تركها الإله المتجسّد في بشريتنا المفقوءة بزلاّت غير متوقّعة قد لا تعادل الخطيئة الآدمية الأولى:

[أنا ريشة
تركها طائر ومضى،
لا الطائر يتذكرني
لأعود إليه
لا أنا أهبط
فأستريح.].

ونصوص : حذر، الوصول إلى الله، وصية الغريق، إلخ...

خطاب قناعي يحتفي بالعزلة والاغترابَ

فيما يتزمّل سائر ما فضل من قصائد، تقريبا ، ويندرج في قوالب اللعبة الهذيانبة التي تحاول تبرير فعل الكتابة والإبداع بشكل أوسع، في زمن زئير الموت ،وصولة آلهة الخراب.

عزلة واغتراب إبداعيين ، تزدان بهما الذات إكراها لا بطولة، مبدية تحت لوائهما، انشغالاتها بهموم تبصم شخصية جيل بأكمله، وتحاول أن توثق لمرحلة برمّتها، تأمّما لشتى ما قد يثمر ما هو إيجابيا وغير منقرض تجاه الآخر وكل ما في الكون من عناصر لا يحدث تصالح واتزان عالمي بدونها.

[أفكرُ كثيرًا في المقبرةِ
لا أعرفُ لماذا
هل هي صورةُ أخي
التي تطلُّ كلَّ يومٍ عليَّ
من جدارِ الغرفةِ ,
هل هي صرخةُ المرأة
حينَ وجدتْ يدَ البقّالِ .
على اليد كانتْ
رائحةُ البرتقالِ والدّمِ تتعانقانِ ,
فكّرتُ في يد البَقّالِ
بالأمسِ أرجعَتْ إليَّ
ما تبقّى من النّقودِ
لكنّها الآنَ مفتوحةٌ
مثلَ بئرٍ مهجورةٍ ,
أفكّرُ كثيرًا في السّوقِ
لكنّ يدَ البقّالِ
تشيرُ إلى المقبرة..].

وفي الحقيقة هو منجز أنسنة لدوالي الذات،قلّما أفلح في بلورته شعرنا الحداثوي، وحتّى الزوائد هاهنا تحضى بشرف كهذه مقاربات تنمّ عن وعي ونضج ودربة ومراس في الكتابة المنجذبة إلى حقول الاستثنائي والمغاير والمختلف والمنكفئ على مغامرات التجريبية وتبني أدبيات تضع القصيدة فوق الحياة والأشكال والحدود الأجناسية الضيقة.

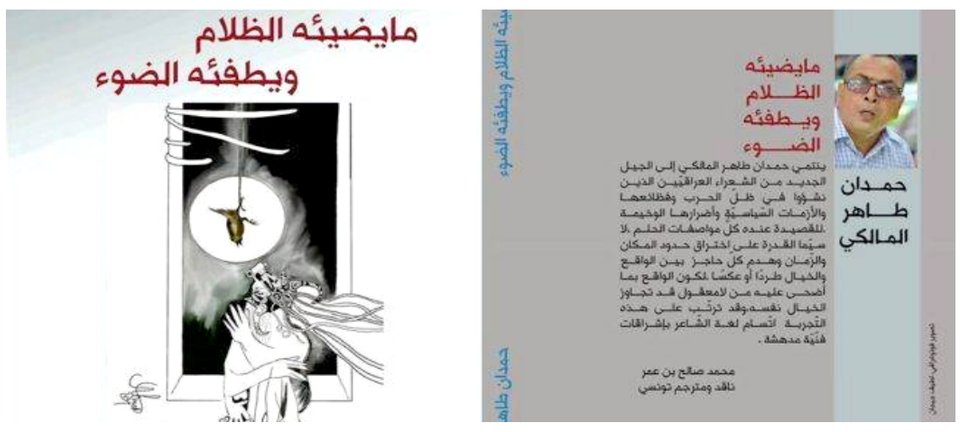

غلاف المجموعة الشعرية

وجدان عبد العزيز بدراسة نقدية

الإيروسية حضوراً وغياباً في شعر المرأة

خليل مزهر الغالبي
الشطرة

يعد كتاب الايروسية حضوراً وغياباً- في شعر المرأة العربية المعاصرة للناقد "وجدان عبد العزيز" وهو من اصدارات وزارة الثقافة العراقية ـ دار الشؤون الثقافية العامة ، دراسة استقرائية اختلفت باختلاف النصوص المختارة للشاعرات العربيات ،مع توحد رؤى الناقد للستراتيجية المهمة للشعرالانثوي الايروسي، كمنطق شعري متقدم بحداثته العابرة للتابوات الصارمة التي وضعها القانون الذكوري،وكما في تبيان الدراسة النقدية للكتاب وخطاب نصوصها المختارة في الدراسة.ان منتج الشعر الايروسي،هو طبيعة انسانية لغواية مفتوحة و فتنة دائمة في صيرورة الانسان ومنها المرأة ، وكتبتها الشاعرة العربية بمثول ناشط وعابر للخشية والتوجس من المراقبات السلفية وتحذيراتها،وكما وصفها الناقد "وجدان عبد العزيز"هي ثورة شعرية قادتها المرأة العربية للتعبير عن خلجات الانثى بمواجهة الكبت والحرمان والسلطة الذكورية ص 8 وتم اعداد النصوص المختارة وفق رؤية الكاتب في تميز ابداعية هذه النصوص،وهي نصوص مختلفة في بصمتها الشعرية لكل شاعرة ،حيث اللغة والسرد الشعري والبناء الفني العام لها ،وهذا من بديهي الخلق الشعري وابداعه.خاصة وقد جمعت الدراسة اكثر من اربعين شاعرة ،ومنه كانت الدراسة التي نهجها الناقد "وجدان عبد العزيز" تقع ضمن مفهوم اللغة الاتباعية -Metalan guageللناقد "رولان بارت"في تناوله الدراسي النقدي في مقالته" نقد وحقيقة "التي يوضح فيها لا تتعلق موضوعية الناقد الأدبي باختيار الشيفرة، ولكن بالدقة في اختيار النموذج الذي سيطبقه على العمل الأدبيوهي اللغة بمعناها اتباعية النقد للعمل الأدبي ،ويرى "بارت" أن تكون هذه اللغة لغة فاعلة وتتغير مع النص المدروس النص المنتقد،والذي يملك استبانه منه ليحدد منهاج النقد له،بدون ارغام يملى من خصوصيات خارج النص، وهذا ما وعاه الناقد "وجدان عبد العزيز" وعرفه في ذكرهالحقيقة الجدلية النقدية التي تتخذ من النص مساحة بحث وانطلاق لها،نجدها ذات جذر متغير في نموها،وعدم استقرارها الثابت،مما يوحي ان النقدية تنبع من النص وتنمو في ارضه وتجترح آلياتها واجرائاتها المنهجية من خلال خلجات النص ...ص.110

والايروسية الشعرية هي من النتاجات الأدبية الحديثة التي ظهرت بعد حصار ثقافي طال أمده،وتسعى هذه الظاهرة الى رفض النظرة الدونية للجنس ،والتي تشيعها المهيمنات التاريخية للثقافة الذكورية الاجتماعية والرسمية، لذلك كانت سلاحاً بيد المرأة الشاعرة وهي تحارب بلادة الرؤى للجسد الانثوي وحصره بالفعل الجنسي الرخيص.وكان الناقد "وجدان عبد العزيز" في قراءته للنصوص قراءة باحثة عن الدلالات اللغوية في انفتاحها الإيروسي، كما في نص "فضاءات الغياب" للشاعرة "اسماء القاسمي" نموذجاً في قوله وبعد جدية في الدخول الى مسلمات النص وجدت اهم هذه المتقابلات :موقع الانسان/ الشاعر بالنسبة الى فعالية الكتابة الشعرية،لذا كانت الشاعرة القاسمي،قد دخلت حالة التوتر بين طرفي ايقونتين داخليتين غير مرئيتين،وهي ايقونة السمو في الفضاء المفتوح،كقولهاسأسرج النجمة والنكوص نحو الارتداد الذاتي بقولها لازالت الافاق موصدة،وان هذين الصرعين هما سبب تكوين ايقونة العنونة فضائيات الغياب اي اسناد كلمة فضاءات الى كلمة الغياب،لوضع صورة مبالغ فيها لإضاءة الذات المبدعة باتجاهص 129ومنه يمر الناقد لنص القصيدة.

ونلاحظ حوار الناقد ايضاً لنص الشاعرة "سمرقند" وقنديلين في عيني /أغسل بضوئهما عتمة مساربك /فبشر اصابعك بازميلي / ساعلمك درس في النحت /لتنجز تمثالاً من عطري106فيرى الناقد ان أي تمثال واي عبير هناك؟ احتياج ماس جداً تدنو منه اشكالية الشاعرة للدنو من حضور الاخر... لكن الناقد يذهب لقراءة شرط النص في هذا الاقتراب في الدنو، منيهاً لاحتماليته في لاحق ذكره ...لكن ليس بالضرورة بما هو متعارف،انما احتياج لنشدان السمو –فأنا أريد أن أتوج

انوثتي/بشمعدان رجولتك هنا نزلت الشاعرة الى عر النفس الانسانية ورغباتها،لتكون سوية غير شاذةص106ان طبيعة الشعرية الإيروسية للمرأة الشاعرة تقع ضمن الإتسامات الهادءة والمشيعة للمناخ اللغوي الملائم لحوار نصها الايروسي ،وتحقيق اقناع الاخر وتقبله، وهي اقناعات بعيدة عن التسجيل الشهرزادي المذل لماهية الانثى.وكانت النصوص المختارة في الدراسة ،هي نصوص ثقافة الاحتجاج الناعم في ترسيخ بنائات تحديثية في الشعرية اليروسية المعاصرة، وبما تحرك الجسد وتمنحه الكلام ليعبر عن شعورة ككائن انساني حر وعاقل، كائن له الحق في الحضور داخل النص و التعبير والكشف عن ما اسكنه خلقه البيلوجي الحسي و ميزاته الخفية الغير قابلة للقمع،وهذا ما حاوره الناقد "وجدان عبد العزيز" لنصوص الايروسية المختارة بوعي عالي وثقافة استقرائية متقدمة وبعيدة كثيراً عن الممنوعات،لتعد دراسته دراسة كاشفة وعابرة لثقافة الايروس الرخيص و الاخرى المانعة لها وأوامرها على حد سواء،خاصة وهي نصوص ذات بناءات ناعمة لاتقبل خشونة المنع واتهاماته الغير لائقة بمكانة المرأة كرمز للعطاء الحياتي ونموه.وكما اكدته الدراسة وفق كشوفاتها الطاردة لخشية النص الانثوي والعبور به لتلك المصدات وتحقيق جمالية موضوعة الايروس في النص الشعري للمرأة.

غلاف الكتاب